الى قومهم نادوا ان من اسلم فهو امن ونبذ رهم حتى ان الرجل ليفارق اباه وامه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم
ما يحتاجون اليه من امر الدين ويفقهون ويبعثهم الى قومهم اذا رجعوا اليهم ويدعونهم الى الاسلام وينذرونهم النار ويبشرونهم الجنة
وقال مجاهد ان ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البوادي فاصابوا من الناس معروفا ومن الخصب
ما ينتفعون به ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا وقد تركتم اصحابكم وجئتمونا فوجدوا في
انفسهم حرجا واقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل فلولا نفر من كل فرقة
منهم طائفة يبتغون الخير وقعد طائفة ليتفقهوا وليسمعوا ما انزل الله ولينذروا قومهم من الناس اذا رجعوا اليهم
لعلهم يحذرون وقال ابن عباس ما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فلولا
نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني عصبة يعني السرايا ولا يسيروا الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم
قرآن تعلمه القاعدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الله قد انزل على نبيكم من بعدكم قرآنا وقد
تعلمناه فتمكث السرايا يتعلمون ما انزل الله على نبيهم بعدهم وتبعث سرايا اخرى فذلك قوله ليتفقهوا في الدين
يقول ليتعلموا ما انزل الله على نبيهم ويعلموا السرايا اذا رجعت اليهم لعلهم يحذرون نقل هذه الاقوال كلها الطبري واما
تفسير الآية فيمكن ان يقال انها من بقية احكام الجهاد ولكن يمكن ان يقال انها كلام مبتدأ لا تعلق لها بالجهاد وعلى الاحتمال
الاول فقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج الى الغزو لا يتخلف عنه الا منافق او صاحب عذر فلما
بالغ الله في الكشف عن عيوب المنافقين وفضحهم في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن شيء
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية بعثها فلما قدم المدينة وبعث السرايا نفر المسلمون جميعا الى الغزو
وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فنزلت هذه الآية فيكون المعنى ما كان ينبغي للمؤمنين ولا يجوز
لهم ان ينفروا بكليتهم الى الجهاد ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يجب ان ينقسموا قسمين فطائفة يكونون
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة ينفرون الى الجهاد ولان ذلك الوقت كانت الحاجة داعية الى انقسام
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قسمين قسم للجهاد وقسم لتعلم العلم والتفقه في الدين لان احكام
الشرائع كانت تتجدد شيئا بعد شيء والملازمون للنبي صلى الله عليه وسلم يحفظون ما انزل من الاحكام وما تجدد من
الشرائع فاذا قدم الغزاة اخبروهم بذلك فيكون معنى الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا يعني فهلا نفر من
كل فرقة طائفة للجهاد وقعد طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم الذين نفروا الى الجهاد اذا رجعوا اليهم من
غزوهم لعلهم يحذرون يعني مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر الله ورسوله وهذا معنى قول قتادة وقيل
التفقه صفة الطائفة النافرة قال الحسن ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم من الظهور على المشركين والنصرة وينذروا
قومهم اذا رجعوا اليهم ومعنى ذلك ان الفرقة النافرة اذا شاهدوا نصر الله على اعدائهم وان الله يريد اعلاء دينه وتقوية
دين نبيه صلى الله عليه وسلم وان الفئة القليلة غلبت جماعة كثيرة فاذا رجعوا من ذلك النفير الى قومهم من الكفار انذروهم
بما شاهدوا من دلائل النصر والفتح والظهور لهم لعلهم يحذرون فيتركوا الكفر والنفاق واورد على هذا القول ان
هذا النوع لا يعد تفقها في الدين ويمكن ان يجاب عنه بانهم اذا علموا ان الله يامرهم ويقويهم على عدوهم كان ذلك
زيادة في ايمانهم ليكون ذلك تفقها في الدين واما الاحتمال الثاني وهو ان يقال ان هذه الآية كلام مبتدأ لا تعلق
له بالجهاد وهو ما ذكرناه عن مجاهد ان ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البوادي واصابوا معروفا
ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا وقد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا من ذلك في انفسهم
حرجا فاقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية يعني هلا نفر من كل فرقة
منهم طائفة وتقعد طائفة ليتفقهوا في الدين وليبلغوا ذلك الى الناس النافرين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم

يحذرون

يحذرون يعني باس الله ونقمته اذا خالفوا امره وفي الآية دليل على انه يجب ان يكون المقصود من العلم والتفقه دعوة الخلق
الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصراط المستقيم فكل من تفقه وتعلم لهذا القصد كان على المنهج القويم والصراط المستقيم
ومن عدل عنه وتعلم العلم لطلب الدنيا كان من الاخسرين اعمالا الآية (ق) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما انا قاسم ويعطي الله ولن تزال هذه الامة مستقيمة حتى تقوم الساعة
وحتى ياتي امر الله (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية
خيارهم في الاسلام اذا فقهوا عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد اشد من الف عابد على
الشيطان اخرجه الترمذي واصل الفقه في اللغة الفهم يقال فقه الرجل اذا فهم وفقه فقاهة اذا صار فقيها
وقيل الفقه هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو اخص من العلم وفي الاصطلاح ان الفقه عبارة عن العلم
باحكام الشرائع واحكام الدين وذلك ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين معرفة احكام الطهارة
ومعرفة احكام الصلاة والصوم فعلى كل مكلف معرفة ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل
مسلم ذكره البغوي بغير سند وكذلك كل عبادة وجبت على المكلف بحكم الشرع يجب عليه علمها مثل علم الزكاة اذا صار
له مال تجب في مثله الزكاة وعلم احكام الحج اذا وجب عليه واما فرض الكفاية من الفقه فهو ان يتعلم ما حتى يبلغ
به رتبة الاجتهاد ودرجة الفتيا واذا قعد اهل بلد عن تعلمه عصوا جميعا واذا قام به من كل بلد واحد حتى
بلغ درجة الفتيا سقط الفرض عن الباقين وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث عن ابي امامة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة اخرجه الترمذي
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع اخرجه الترمذي
عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل
آية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة اخرجه ابو داود والآية المحكمة هي التي لا اشتباه فيها ولا اختلاف
في حكمها وما ليس بمنسوخ والسنة القائمة هي المستمرة الثابتة التي يعمل بها متصل لا تترك والفريضة
العادلة هي التي لا جور فيها ولا حيف في قضائها قال الفضيل بن عياض عالم عامل معلم يدعى عظيما في ملكوت
السموات اخرجه الترمذي موقوفا وقال الشافعي طلب العلم افضل من صلاة النافلة قوله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب فالاقرب اليهم في الدار والنسب
قال ابن عباس مثل قريظة والنضير وخيبر ونحوها وقال ابن عمر هم الروم لانهم كانوا سكان الشام
والشام اقرب الى المدينة من العراق وقال بعضهم وهو ابن زيد الذين يلونكم من الكفار العرب فقاتلوهم
حتى فرغ منهم امر بقتال اهل الكتاب وجهادهم حتى يسلموا او يعطوا الجزية عن يد نقل عن بعض العلماء انه
قال نزلت هذه الآية قبل الامر بقتال المشركين كافة فصارت ناسخة لقوله تعالى قاتلوا الذين
يلونكم من الكفار وقال المحققون من العلماء لا وجه للنسخ فانه تعالى امرهم بقتال المشركين كافة
ارشدهم الى الطريق الاصوب الاصلح وهو ان يبدؤا بقتال الاقرب فالاقرب حتى يصلوا الى الابعد
فالابعد وبهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة لان قتالهم في دفعة واحدة لا يتصور
ولهذا السبب قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا قومه ثم انتقل منهم الى قتال سائر العرب ثم الى
قتال اهل الكتاب وهم قريظة والنضير وخيبر وفدك ثم انتقل الى غزو الروم في الشام وكان فتحه في زمن
الصحابة ثم انهم انتقلوا الى العراق ثم بعد ذلك الى سائر الامصار لانه اذا قاتل الاقرب تقوى بما ينال منهم من
الغنائم على الابعد وقوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة يعني شدة وقوة وشجاعة والغلظة ضد الرقة وقال

Copyright © King Saud University